# كارثة نابلس

أدمـوعُ الـنـسـاءِ والأطـفـالِ تجرح القلبَ أم دموعُ الرجالِ
بـلـدٌ كـان آمـنًـا مـطـمـئِـنًّـا فـرمـاه الـقـضـاءُ بـالـزلـزال
هِـزَّةٌ، إثْـرَ هِـزَّةٍ تـركـتْـهُ طَـلَـلًا دارسًـا مـن الأطـلال
مادتِ الأرضُ ثم شَبَّتْ وألقتْ ما على ظهرها من الأثقال
فـتـهـاوت ذاتَ الـيـمـينِ ديـارٌ لـفـظـتْ أهـلَـهـا، وذاتَ الـشـمـال
بـعـجـاجٍ تُـثـيـره تـركَ الـدُّنْـ ـيا ظلامًا، وشمسُها في الزوال
فـإذا الـدورُ وَهْـي إمَّـا قـبـورٌ تـحـتـهـا أهـلُـهـا، وإمَّـا خـوال
وأرقُّ الـنـسـيـمِ لـو مـرَّ بـالـقـا ئـمِ مـنـهـا لـدكَّـه، فَـهْـو بـال

* * *

لا تقفْ سائلًا بنابُلُس الثَّكْـ ـلى، فما عندها مجيبُ سؤال
أرأيتَ الـطـيـورَ تـنـفـر ذعـرًا من خِفافٍ عن سَرْحها وثِقال
هـكـذا نُـفِّـرتْ عـن الـدورِ أهـلٌ عَمَروها، إلى كهوف الجبال
أرسـومٌ؟ وكـنَّ قـبـلُ صُـروحًـا كلُّ صَرْحٍ عاتٍ على الدهر عالِ
فـالـتـحـفـنـا الـسـمـاءَ بـعـد سُـتـورٍ وشُـفـوفٍ مُـذالـةٍ وحِـجـال
ولـيـالـي الأعـراس يـا لَـهْـفَ قـلـبـي عـطَّـلـتْـهـا تـقـلُّـبـاتُ الـلـيـالـي
أضحكَ الدهرُ يا ابنَ ودّي وأبكى يومَ لم يخطرِ الأسى في بال
رُبّ وادٍ كـأنّـه الـنَّـهـرُ الأخْـ ـضَرُ، يختالُ في بُرودِ الجَمال

خطراتُ النسيمِ ذاتُ اعتلالٍ فيه والدّوحُ مائسٌ باختيال
غَشِيَتْهُ الطيورُ مختلفاتٍ رائعاتِ الألوانِ والأشكال
صادحاتٍ على أرائك في الأيْـ ـكِ، يَصِلْنَ الغُدوَّ بالآصال

* * *

نَغَماتٌ أرسلنَها ذاتُ تَسْجيـ ـعٍ وكَرٍّ في اللحن واسترسال
يا طيورَ الوادي غليلُ فؤادي كانَ يشفيه بَرْدُ تلكَ الظلال
يا طيورَ الوادي رزايا بلادي مزَجَتْ لي الغناءَ بالإعوال
كان واديكِ للسرور مآلًا فغدا بالثبور شرَّ مآل
كان (عيبالُ) من صدى الأُنسِ يهتزُّ فماذا سمعتِ في عيبال؟
كان (جرزيمُ) مَنْزِهًا والغواني في ظلالٍ منه، وماءٍ زُلالِ
أدموعٌ عيونُه؟ أصَباهُ زفراتُ الإرمالِ والإثكال؟

* * *

يا يدَ الموتِ ما عهدتُ أُلوفًا منكِ هُوجًا تمتدّ للاغتيال
طغتِ الحربُ خمسةً ما دهتْنا كثوانٍ مَرَّتْ بغير قتال
ووجوهُ المنونِ شتَّى، فبانت كلُّها عند هذه الأهوال
من وحيدٍ لأمِّه وأبيهِ جمعوه مُفَرَّقَ الأوصال
ومُكِبٍّ على بنيه بوجهٍ خلط الدمعَ بالثرى المنهال
وفتاةٍ لاذتْ بحِقْوَيْ أبيها جَزَعًا، وَهْو ضارعٌ بابتهال
وحريضٍ رأى ابنَه يُسلِمُ الرُّو حَ قريبًا منه بعيدَ المنال
ومريضٍ وعُوَّدٍ صُرَّخِ المَوْ تِ، وكانوا يدعُون بالإبلال
خُسِفَ البيتُ بالمريض، ومن عا دَ، وبالمحصَنات والأطفال
قد رأينا في لحظةٍ وسمعنا كيف تلهو المنونُ بالآجال
ههنا نِسْوةٌ جياعٌ بلا مأ وًى، سترنَ الجسومَ بالأسمال
ههنا أسرةٌ تُهاجر والغَمُّ بديلُ الأثاثِ فوق الرحال
ههنا مُبتلىً بفقد ذويهِ ههنا مُعْدِمٌ كثير العِيال
ملأ الحزنُ كلَّ قلبٍ وأودتْ ريحُ يأسٍ بنضرة الآمال

* * *

دخـلاءَ الـبـلادِ، إنَّ فـلـسـطـيـــ ـنَ لأَرضٌ كنوزُها من نكال
تِبْرُها صفرةُ الردى فخُذوهُ عن بنيها، وآذِنوا بارتحال
رَبِّ لُطْفًا! فقد أتانا نذيرٌ بوباءٍ من بعد هذا الوبال
وجـرادٌ، وكـلُّ آتٍ قـريـبٌ، أَوَبَعْدَ الإمحال من إمحال؟
رَبِّ إن الكروبَ تَترى علينا حسبُنا كَرْبُ هجرةٍ واحتلال

١٦ تموز ١٩٢٧